

سورة الملك

الضمان الإلهي من عذاب القبر



د. ياسر بن إسماعيل راضي

الأستاذ المشارك في قسم الدراسات القرآنية
بجامعة طيبة - المدينة المنورة

طبع رجاء
الأجر والثواب
لـ / إسماعيل محمد طلبه
رحمه الله وغفر له




سورة الملك
الضمان الإلهي من عذاب القبر

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

راضي ، ياسر اسماعيل

سورة الملك الضمان الإلهي من عذاب القبر / ياسر اسماعيل راضي

المدينة المنورة ، ١٤٤٠هـ

٨٠ ص ؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٠-٧٨٤٨-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

١- القرآن - مباحث عامة أ . العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٤٠/٢٣٥

رقم الإيداع ١٤٤٠/٢٣٥

ردمك: ٠-٧٨٤٨-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٠ هـ/ ٢٠١٨ م





هاتف: 00966148473148
جوال: 00966558343947



سورية - دمشق
هاتف: 00963115827281
جوال: 00963933119455
daralmimna@gmail.com



د. ياسر بن إسماعيل راضي

الأستاذ المشارك في قسم الدراسات القرآنية
بجامعة طيبة - المدينة المنورة



مقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبيِّ المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى. أما بعد،

فقد ذكر العلماء جملة من الأعمال الصالحة التي تنجي صاحبها من عذاب القبر وأهواله، ثبت منها في الحديث الصحيح قراءة (سورة الملك) على وجه الدوام كل ليلة...، يقول جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**كان ﷺ لا ينام حتى يقرأ** ﴿الٓمٓ ١ تَنزِيلُ﴾ **السَّجدة، و**﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»[1].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ:«**إن سورة في القرآن ثلاثين آية، شفعت لصاحبها حتى غفر له: تبارك الذي بيده الملك**»[2].

أدرك الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ مكانة هذه السورة، وعظيم فضلها، وحقيقة أثرها، فقرؤوها، وتعلموها، وأوصوا بها، فهذا عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال لرجل: «ألا أُتحِفُك بحديث تفرح به؟ قال: بلى. قال: اقرأ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، وعلِّمها أهلك، وجميع وُلْدِك، وصبيان بيتك، وجيرانك، فإنها المنجية والمجادِلة؛ تُجادِل أو تخاصِم يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار، وينجي بها صاحبها من عذاب القبر. قال ابن عباس قال رسول الله ﷺ: «**لوددت**

---

(١) رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم: (٥٨٥)، (٢/ ١٣٠).

(٢) رواه ابن ماجة وغيره، وصححه الألباني. صحيح ابن ماجة، رقم: (٣٠٥٣)، (٢/ ٣١٦).

أنها في قلب كل إنسان من أمتي»[1].

وعلى هذه الوصية المباركة، ارتأيت أن أضع بين يديك أخي المسلم هذه السُّورة بنصِّها وتعريفها، بفضلها وتفسيرها، بلطائفها وعِبَرِها، في صفحات معدودة، سهلة المنال، محدودة المجال، بما يقتضيه المقال، ويطيقه الحال، وذلك لتجمع فيها بين القراءة والفَهم، فيحصل لك بها العلم والعمل معًا، فتكون سببًا من أسباب النجاة من عذاب القبر؛ أعاذنا الله وإيَّاك منه.

وكتب

د. ياسر بن إسماعيل راضي



---

(١) رواه عبد بن حميد في المنتخب من مسنده: رقم: (٦٠٣)، (ص:٢٠٦)، وحسَّنه ابن حجر كما في فيض القدير للمناوي: (٢/ ٤٥٣). ورواه الطبراني وفي سنده: إبراهيم ابن الحكم ابن أبان، وهو ضعيف. رقم: (١١٤٢٩)، (٧/ ١٢٧).



سُورَةُ المُلْكِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ
ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾
ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾
أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ
كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾
أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا
ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ
يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا
ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن
يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

٥٦٤

مدخل: في صحبة القبر

عن هانئ مولى عثمان، قال: كان عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إذا وقف على قبر يبكي حتى يَبُلَّ لحيته. فقيل له: تذكر الجنة والنار ولا تبكي، وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن القبر أوّل منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**». قال: وقال رسول الله ﷺ: «**ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه**»[١].

وعن حسين الجعفي قال: أتى رجل قبرًا محفورًا فاطَّلع في اللحد، فبكى واشتد بكاؤه. قال: أنت والله بيتي حقًا، والله إن استطعت لأعمِّرَنَّك[٢].

وعن عيسى الخواص، أن رجلًا من الصدر الأوَّل دخل المقابر، فمرَّ بجمجمةٍ بادية من بعض القبور، فحزن حزنًا شديدًا ثم واراها، ثم التفت فلم يرَ إلا القبور، فحدَّث نفسه، فقال: لو كشفت عن بعضهم فسألته ما رأى. قال: فَأُتِيَ في مَنامِه، فقيل له: لا تغتر بتشييد القبور من فوقهم، فإن القوم بَلِيَت خدودهم في التراب، فمن بين مسرورٍ ينتظر ثواب الله عَزَّوَجَلَّ، وبين مغمومٍ آسفٍ على عقابه؛ فإيَّاك والغفلة عمَّا رأيت؛ فاجتهَد الرجل بعد ذلك اجتهادًا شديدًا حتى مات[٣].

---

(١) رواه الترمذي في سننه، برقم: (٢٤١٠)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، (٣/ ١٤٠٣).

(٢) ابن رجب الحنبلي، أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور (ص:٢٢٩).

(٣) ابن رجب، أهوال القبور (ص:٢٢٦).

إنه الإحساس المرهف بالمصير المحتوم...

إنه الضمير الحيّ بالوعد الحق...

إنها الحقيقة المنسيَّة والمحطة الغائبة التي سيقف عندها كل إنسان!.

إنه القبر؛ بيت الغربة، بيت الظلمة، بيت الوحشة، بيت الدود، بيت الضيق إلا من وسَّع الله عليه.

فالسعيد من نوَّر قبره بعمله الصالح، والشقي من أظلم عليه قبره بغفلته وسوء عمله!.

فهل من مجتهد؟ وهل من مُعتَبِر؟



أولًا: فضل سورة الملك وأحوال الصالحين معها

وردت أحاديث وآثار عدَّة في فضل (سورة الملك) وعظيم مكانتها، شأنها شأن بقية بعض سور القرآن الكريم، أمثال: سورة الفاتحة، والزهراوين: (البقرة وآل عمران)، وسورة الكهف، والمعوَّذات: (الإخلاص والفلق والناس)[(١)]، إلاَّ أن (سورة الملك) تميَّزت عن غيرها من سور القرآن في ردِّ العذاب عن صاحبها في القبر. وقد أدرك الصحابة والصالحون هذا الفضل وذاك الأثر، فكان لهم معها أقوال وأفعال. **نورد جملة من الأحاديث والآثار في ذلك**:

(١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ: «**إن سورة في القرآن ثلاثين آية، شفعت لصاحبها حتى غفر له: تبارك الذي بيده الملك**»[(٢)].

(٢) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السَّجدة، و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[(٣)].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «يؤتى الرجل في قبره، فتؤتى رجلاه فتقول: ليس لكم على ما قِبَلِي سبيل كان يقرأ (سورة الملك)، ثم يؤتى من قِبَلِ

---

(١) ينظر: القرطبي، التذكار في أفضل الأذكار، (ص:٢٠٩-٢٨٦).

(٢) سبق تخريجه في المقدمة.

(٣) سبق تخريجه في المقدمة.

صدره -أو قال: بطنه- فيقول: ليس لكم على ما قِبَلي سبيل كان يقرأ في (سورة الملك)، ثم يؤتى من قِبَلِ رأسه فيقول: ليس لكم على ما قِبَلي سبيل كان يقرأ في (سورة الملك). فهي المانعة تمنع عذاب القبر، وهي في التوراة (سورة الملك) من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب»[1].

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال لرجل: «ألا أُتحِفُك بحديث تفرح به؟ قال: بلى. قال: اقرأ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، وعلِّمها أهلك، وجميع وُلْدِك، وصبيان بيتك، وجيرانك، فإنها المنجية والمجادِلة؛ تُجادِل أو تخاصِم يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار، وينجي بها صاحبها من عذاب القبر، قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «**لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي**»[2].

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ خباءه على قبر؛ وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ (سورة الملك) حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ضربت خبائي على قبر؛ وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ (سورة الملك) حتى ختمها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر**»[3].



(١) رواه الحاكم في المستدرك: رقم: (٣٨٣٩)، وقال: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي، (٢/ ٥٤٠)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب، (٢/ ٩١).

(٢) سبق تخريجه في المقدمة.

(٣) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب، (٥/ ١٦٣). قال الشيخ الألباني: ضعيف وإنما يصح منه قوله: (هي المانعة ...الخ). ضعيف الترمذي، رقم: (٥٤٦)، (١/ ٣٤٥).

أحوال الصالحين مع سورة الملك

(١) يقول الإمام السيوطي: «وكان المهاجرون والأنصار يتعلمونها ويقولون: المغبون من لم يتعلمها».[١]

(٢) وعن معمّر مؤذن التيمي قال: صلَّى إلى جنبي سليمان التيمي بعد العشاء الآخرة، وسمعته يقرأ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ قال: فلما أتى على هذه الآية: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة الملك:٢٧] جعل يردِّدها حتى خَفَّ أهل المسجد فانصرفوا. قال: فخرجتُ وتركتُه، قال: وغدوتُ لأذان الفجر، فنظرتُ فإذا هو في مقامه، قال: فسمعتُ فإذا هو فيها لم يَجُزْها وهو يقول: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٢].

(٣) وعن أبي مهدي قال: صليت خلف الزهري شهرًا، فكان يقرأ في صلاة الفجر ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٣].

(٤) وعن أبي عقيل زهرة بن معبد: أن ابن شهاب كان يقرأ في صلاة الصبح ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ وفي الآخر ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقلت: تقرأ هذه السورة الطويلة مع هذه السورة القصيرة. قال ابن شهاب: «إن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلث القرآن، وإن ﴿تَبَارَكَ﴾ تخاصم لصاحبها في القبر»[٤].

---

(١) السيوطي، الدر المنثور، (٨/ ٢٣٣).
(٢) رواه أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (٢/ ٢٩).
(٣) أبو نعيم، حلية الأولياء، (٣/ ٣٧٠).
(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان، (٢/ ٤٩٥).

وعن عمران بن خالد الخزاعي قال: كنت جالسًا عند عطاء فجاء رجل فقال: أبا محمد! إن طاووسًا يزعم أن من صلَّى العشاء، ثم صلَّى بعدها ركعتين يقرأ في الأولى: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة، وفي الثانية ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ كتب له **مثل** وقوف عرفة وليلة القدر. فقال عطاء: صدق طاووس، ما تركتهما[1].

ويقول ابن رجب الحنبلي: حدثني المحدث أبو الحجاج يوسف السَّرمدي، حدثنا شيخنا أبو الحسن علي بن الحسين السامري، -خطيب سامرا، وكان رجلًا صالحًا- وأراني موضعًا من قبور سامرا، فقال: هذا الموضع لا يزال يسمع منه قراءة (سورة تبارك)[2].

ويقول الإمام الآلوسي (ت:١٢٧٠هـ) في نهاية تفسير السورة: «والحمد لله الذي وفقني لقراءتها كذلك منذ بلغت سن التمييز إلى اليوم، وأسأل الله تعالى التوفيق لما بعدُ والقَبول»[3].

وبعد: فهذه فضائل السورة... وتلك أحوال أصحابها،

فيا للعجب؛ ممن علم هذا الفضل كيف يزهد فيه!؟



(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية، (٩/ ٢٥٠). أقول: لم يثبت هذا الفضل، ولكن يستأنس باجتهاد الإمام طاووس رَحِمَهُ ٱللَّهُ من باب الترغيب وشحذ الهمم لقراءة السورتين كما ثبت في الحديث.

(٢) ابن رجب، أهوال القبور، (١/ ٧١).

(٣) الآلوسي، روح المعاني، (١٥/ ٣).

ثانيًا: التعريف بسورة الملك وموضوعاتها

بين يدي (سورة الملك):

تقع (سورة الملك) في أوّل الجزء التاسع والعشرين من القرآن الكريم، وبها يُفتتح الجزء، فيسمَّى: بجزء تبارك، وترتيب السورة: (٦٧) من سور القرآن الـ (١١٤) سورة. أما عن عدد آياتها، فثبت أنها ثلاثون آية[١]، وهي ليست الوحيدة التي تحوي هذا العدد، فهناك سورتا (السجدة والفجر) تشتركان بالعدد نفسه؛ ثلاثون آية.

نزلت (سورة الملك) قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وهي من السور المكيَّة بإجماع العلماء[٢]. ومن خصائص السور المكية؛ اهتمامها بشؤون العقيدة، والدعوة إلى التوحيد، ومسائل الإيمان بالغيب (البعث والجزاء، الجنة والنار، القيامة وأهوالها...)، إضافة إلى مخاطبة الكفار والمشركين بالأدلة العقلية؛ للاستدلال على فساد اعتقادهم...، فكانت (سورة الملك) جامعة لمعظم هذه الخصائص.

أما عن سبب نزول (سور الملك)؛ فقد ذكر الإمام السيوطي في الدر المنثور[٣] بأن السورة نزلت جملة واحدة. وهذا القول انفرد به السيوطي عن غيره من المفسرين

---

(١) كما مرَّ معنا في الحديث الصحيح، يراجع مبحث فضل السورة.

(٢) حكى الإجماع ابن عطية في المحرر الوجيز، (٥/ ٣٨٧)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن، (٩/ ٢٠٥).

(٣) السيوطي، الدر المنثور، (٨/ ٢٣١).

مستدلًا برواية رافع بن خديج، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: « أنزلت علي سورة تبارك وهي ثلاثون آية جملة واحدة». بينما ذكر الإمام الواحدي (ت:٤٦٨هـ)، وغيره -وهم قليل[١]- سبب نزول آية واحدة فقط. وهي قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [سورة الملك:١٣] مستدلًا بما رواه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ، فخبَّره جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بما قالوا فيه ونالوا منه، فيقول بعضهم لبعض: أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد»[٢]. أما أكثر المفسرين، فلم يذكروا لسورة (الملك) أو لبعض آياتها سبب نزول[٣].

أسماء (سورة الملك):

لسورة (الملك) عدة أسماء وأوصاف، مما دلَّ على شرفها وعلو منـزلتها. يقول الإمام السيوطي: « كثرة الأسماء دالَّة على شرف المسمَّى»[٤] :

- فسميت بسورة (تبارك الذي بيده الملك)، نسبة للمقطع الأوَّل من الآية الأولى منها.
- وسورة (تبارك)، نسبة للكلمة الأولى من آيتها الأولى.

---

(١) كالإمام البغوي (ت:٥١٦هـ) في لباب التأويل في معالم التنزيل، (٨/ ١٧٨)، والإمام ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ) في زاد المسير، (٦/ ٥١)، والإمام الخازن (ت:٧٢٥هـ)، في لباب التأويل (٦/ ١٢٣).

(٢) الواحدي، أسباب النـزول، (ص:٣٢٧).

(٣) لم أجد رواية صحيحة في سبب نزول السورة أو في بعض آياتها في كتب الصحيح من أسباب النـزول، والله أعلم.

(٤) السيوطي، الإتقان، (٢/ ٣٤٩).

- وسميت سورة (الملك)؛ نسبة إلى موضوعها.
- وسورة (المانعة)؛ لأنها تمنع من عذاب القبر.
- وسورة (المنجية)؛ لأنها تنجي صاحبها من عذاب القبر.
- وسورة (المجادلة)؛ لأنها تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها.

موضوع (سورة الملك) العام:

إن كل سور القرآن الكريم وآياته ابتداءً من سورة الفاتحة، ومرورًا بسورة الناس، وختامًا بسورة الفاتحة -مرة ثانية-، تكوِّن حلقة واحدة متصلة؛ موضوعها واحد، وحديثها واحد، ونسيجها واحد، ألا وهو الدعوة إلى توحيد الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإفراده بالعبودية الحقّة دون سواه، ثم بيان الصراط المستقيم والطريق القويم للوصول إلى هذا الاعتقاد، وعلى أثر ذلك كان نبذ الشرك والكفر والنفاق وما سواه؛ لأنه طريق معوّج منحرف عمّا أراده الله لعباده.

وقد جاء القرآن الكريم بأساليب عدة، وموضوعات متنوعة لتقرير هذا المعنى، من خلال قصص القرآن الكريم، وأمثاله، وأقسامه، ووعده ووعيده،...وما إلى ذلك. فكان لكل سورة من سور القرآن وَحدة موضوعية تصبُّ في هذا المعنى، وتتميَّز عن غيرها بأدائها ومعطياتها، فكانت (سورة الملك) إحدى هذه السور التي برزت فيها الوَحدة الموضوعية، في تقرير وحدانية الله عَزَّوَجَلَّ وإثباتها عن طريق بيان القدرة الإلهية في مُلك الله تعالى وملكوته.

فالسورة من أوّلها إلى آخرها تتحدَّث عن عظيم قدرة الله في خلقه، وإبداعه

في الأنفس وفي الكون. لذا سميّت بسورة المُلك؛ لأنها تتحدَّث عن ملك الله تعالى وعلوه على خلقه، فهو مالك الدنيا والآخرة ومليكهما، وذلك عن طريق بيان أهم خصائص هذا المُلك وهي القدرة. فالمُلك يستلزم القدرة، ومن لا قدرة له لا ملك له. لذا ابتدأت السورة بقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

دلائل كمال قدرة الله عَزَّوَجَلَّ في (سورة الملك):

تحدثت السورة عن جملة من الدلائل الإلهية الحكيمة الدالة على عظيم ملك الله تعالى وقوته، المصاحبة بالرحمة والبركة على الخلق، **فتأمّلها**:

(١) خلَق الموت والحياة في جميع الخلائق.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ... ﴿٢﴾﴾.

(٢) خلَق السموات السبع وأتقن صنعهن.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ...﴾.

(٣) جعل الكواكب مصابيح في السماء الدنيا، وجعلها رجومًا للشياطين.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾.

(٤) خلق النَّار، وأعدَّها لأهل الضلال من الشياطين والكافرين.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾﴾.

(٥) خلق الجنَّة، وأعدَّها لمن يخافه بالغيب من المؤمنين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝١٢﴾.

(٦) أحاط علمه الواسع والدقيق بصغير الأمور وكبيرها، وسرّها وجهرها.

قال تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣﴾،

وقال: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ۝١٩﴾.

(٧) خلق الأرض وذلَّلها للإنسان وأوجد فيها معايشه ورزقه.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥﴾.

(٨) قَلَبَ خصائص الأرض من نعمة إلى نقمة؛ عذابًا للمتمردين الجاحدين.

قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ۝١٧﴾.

(٩) أبقى الطيور سابحة في جو السماء، باسطة أجنحتها وقابضة فلا تقع.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ۝١٩﴾.

(١٠) بيده الرِّزق فإن منعه هلك الخلق.

قال تعالى: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ۝٢١﴾.

(١١) أمدَّ البشر بأعظم الأجهزة: (السمع، البصر، العقل) ليميزهم عن غيرهم من المخلوقات.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

(١٢) جمعَ الخلائق بعد بثهم وتفرقهم في الأرض.

قال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

(١٣) عالم بالغيب، عنده علم الساعة، ووقتها، وقيامها.

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ ﴿٢٦﴾﴾.

(١٤) بيده آجال العباد ومصيرهم.

قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٨﴾﴾.

(١٥) قادر على إخراج الماء من بطون الأرض ينابيع تجري.

قال تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ﴿٣٠﴾ ﴾.



العلاقة بين فضل سورة الملك وموضوعها العام

يتلخص فضل (سورة الملك)؛ في أنها السورة الوحيدة في كتاب الله تعالى التي وصفها النبي ﷺ بأنها المنجية من عذاب القبر. والسؤال هنا: ما الحكمة في تخصيص النبي ﷺ هذه السورة؛ دون غيرها من سور القرآن بهذا الفضل الفريد؟

تتضح الإجابة؛ بالنظر إلى العلاقة الوثيقة بين هذا الفضل، وموضوع السورة العام، **كالتالي:**

- لمَّا كان موضوع السورة الأساس؛ إثبات ملك الله تعالى وقدرته على كل شيء، وكان قارئ السورة على الدوام في كل ليلة يُقِرُّ بهذه القدرة ويؤمن بها، ويجدِّد العهد والإيمان مع الخالق سبحانه، كان من رحمته جلَّ شأنه وعلت قدرته، أن يصرف عنه عذاب القبر، فالجزاء من جنس العمل.

- ولمَّا علم قارئ السورة عظمة قدرة الله تعالى في وقوع العذاب على من كفر به من الأمم السابقة في الدنيا والآخرة كما تحدَّثت عنه السُّورة، وعلم أن للقبر أحوالًا وأهوالًا؛ أحسن الظن بالله تعالى أن يرفع عنه عذابه، وأن يؤمنه من فتنته، فاتصل به كل ليلة ليجدِّد الطلب، فكان له ما طلب.



مناسبة سورة الملك
لما قبلها ولما بعدها

تقع (سورة الملك) بين سورتين؛ السابقة لها: سورة (التحريم)، وهي مدنية، وعدد آياتها: (١٢) اثنتا عشرة آية، والسورة اللاحقة: سورة (القلم)، وهي مكية، وعدد آياتها: (٥٢) ثنتان وخمسون آية.

والناظر في السور الثلاث يرى الترابط الموضوعي الجلي بينها، وذلك من عدة وجوه على النحو الآتي:

- الشخصية المشتركة في السور الثلاث هو النبي ﷺ. ففي سورة (التحريم) كان الحديث عن بيت النبوة، وفي سورة (الملك) ذكرت الآيات شيئًا من مواجهة دعوة النبي ﷺ وموقف النبي ﷺ منها، وكذا في سورة (القلم) جاء الحديث عن إثارة الشبهات حول نبوة محمد ﷺ.

- تحدثت السور الثلاث عن خُلق النبي ﷺ. ففي سورة (التحريم)، تحدَّثت عن أخلاقه ﷺ مع زوجاته حال الخلافات الزوجية. وفي سورة (الملك) أشارت الآيات إلى خلقه ﷺ مع أعدائه إذا تمنوا له وللمؤمنين الهلاك والموت. وفي سورة (القلم) زكَّى الله تعالى خُلق ﷺ ووصفه بالعظيم، مع تفنيد الشبهات التي أثيرت حوله؛ كشبهة الجنون.

▪ذكرت السور الثلاث؛ المقابلة بين الوعيد للكافرين المنكرين لدعوة الله ورسوله، وبين وعد الله للمؤمنين المستجيبين لله ولرسوله.

ففي سورة (التحريم). قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ قابل ذلك بما وعد الله المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾.

وفي سورة (الملك). تحدَّث عن عاقبة الكفر من قوله: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾﴾ وحتى الآية الحادية عشرة، ثم تبع هذه الآيات جزاء المؤمنين الذين يخشون ربهم بالغيب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾.

وفي سورة (القلم). قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾ قابل ذلك بقوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ وحتى قوله تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

ضرب الأمثال واضح في السُّور الثلاث:

▪ففي آخر سورة (التحريم)؛ ضرب الله مثلًا للذين كفروا امرأة نوح، وامرأة لوط؛ كانتا كافرتين في عصمة رجلين صالحين من الأنبياء، وضرب الله مثلًا للذين آمنوا امرأة فرعون؛ كانت مؤمنة في عصمة رجل كافر فاجر، ثم ضرب مثلًا للمرأة المؤمنة الطائعة لأمر ربها؛ مريم بنت عمران. وفي سورة (الملك)؛ ضرب الله مثلًا للكافر والمؤمن في تشبيه حسي بليغ في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ

أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٢﴾. وفي سورة (القلم)، قال تعالى: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾، وهذا (تشبيه مقلوب يجعل المشبه به مشبهًا والعكس! لأن الأصل: أفنجعل المجرمين كالمسلمين في الأجر والمثوبة؟ فقلب التشبيه ليكون أبلغ وأروع)[1].

أما فيما يتعلق بمناسبة (سورة الملك) بما قبلها وما بعدها، فتأمَّل هذا الجمال الموضوعي في الآتي:

(١) مناسبة (سورة الملك) لما قبلها من (سورة التحريم):

(لما كان قد وقع في آخر سورة (التحريم) ما فيه أعظم عبرة لمن تذكر، وأعلى آية لمن استبصر، من ذكر امرأتين كانتا تحت عبدين صالحين...، ثم أعقبت هذه القصة بما جعل في طرف منها ونقيض من حالها، وهو ذكر امرأة فرعون التي لم يضرها مرتكب صاحبها وعظيم جراءته...، ثم أعقب ذلك بقصة عرّيت عن مثل هذين السببين، وانفصلت في مقدماتها عن تينك القصتين، وهو ذكر مريم ابنة عمران، ليعلم العاقل حيث يضع الأسباب، وأن القلوب بيد العزيز الوهاب، أعقب تعالى ذلك بقوله الحق: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾، وإذا كان الملك بيده سبحانه فهو الذي يؤتي الملك والفضل من يشاء، وينـزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، كما صرحت به الآية الأخرى في آل عمران، وهي قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾﴾)[2].

---

(١) الصابوني، صفوة التفاسير، (٣/ ٤٠٧).

(٢) ابن الزبير، البرهان في تناسب سور القرآن، (ص:١٩٠).

ووجه آخر للمناسبة بين (الملك والتحريم)، وهو (أنه -تعالى- لما ضرب مثلًا للكفار بتينك المرأتين المحتوم لهما بالشقاوة؛ وإن كانتا تحت نبيين، ومثلًا للمؤمنين بآسية ومريم، وهما محتوم لهما بالجنة، وإن كان قومهما كافرين، كان ذلك تصرفًا في ملكه على ما سبق به قضاؤه)[1].

ثم سبحانه ذكر في آخر سورة (التحريم) من الذين أحسنوا العمل امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران. ومن الذين أساؤوا العمل امرأة نوح، وامرأة لوط. وذكر في أول سورة (الملك) أنه سبحانه خلق الموت والحياة ليبلوا المكلفين أيهم أحسن عملًا، فقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ فذكر في آخر (التحريم) قسمًا ممن بلاهم أيهم أحسن عملًا، فأساء بعض، وأحسن بعض. فكان ما في (التحريم) مثالًا لما ذكر في سورة (الملك)[2].

وكذا ذكر في سورة (التحريم) جزاء من أساء، ومن أحسن، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ وقال فيمن أحسن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾، وكذلك ذكر في (سورة الملك) جزاء الكافرين والمؤمنين، فقال: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾﴾ وقال في الذين يخشون

---

(١) أبو حيان، البحر المحيط، (٨/ ٢٩١).

(٢) السامرائي، التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، (ص:١٦٢).

ربهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾[1].

(٢) مناسبة (سورة الملك) لما بعدها من (سورة القلم):

يقول ابن الزبير: «فلعظيم ما انطوت عليه (سورة الملك) من البراهين أتبعت بتنـزيه الآتي بها ﷺ عمّا تقوّله المبطلون، مقسمًا على ذلك زيادة في التعظيم وتأكيدًا في التميّز والتكريم، فقال تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢﴾ وأنّى يصح من مجنون أن يتصور تلك البراهين، وقد انقطعت دونها أنظار العقلاء؟ فكيف ببسطها وإيضاحها في نسق موجز، ونظم معجز، وتلاؤم حيَّر العقول، وعبارة تفوق كل قول، تُعرف ولا تدرك، ويستوضح سبيلها، ولا يسلك؟ ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ﴾ [سورة الإسراء:٨٨]»[2].

وقال سبحانه في أواخر سورة (الملك): ﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾، وقال في أوّل سورة (القلم): ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ فالمناسبة ظاهرة بينهما[3].

ومن لطائف المناسبات التي يُستأنس بها بين السورتين ما ذكره الإمام البقاعي بأن سورة (الملك) انتهت بحرف النون من كلمة (معين) من الآية الأخيرة، وسورة (القلم) ابتدأت بالحرف نفسه من الآية الأولى: (ن)[4].



---

(١) المرجع السابق نفسه.
(٢) ابن الزبير، البرهان في تناسب سور القرآن، (ص:١٩٣).
(٣) السامرائي، التناسب بين السور، (ص:١٦٣).
(٤) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (٢٠/ ٢٧٤).

ثالثًا: كيف تقرأ سورة الملك

هذه جملة من الآداب والإرشادات في قراءة (سورة الملك)؛ نضعها بين يديك أخي المسلم، علَّها تعينك على إخلاص العمل لله وقَبوله عنده، فيرفع عنك بها عذاب القبر، نجَّاني الله وإياك منه.

(١) داوِم على قراءة السُّورة كل ليلة قبل النوم خاصَّة، كما مرَّ معك في الحديث عن فضلها، لتختم يومك بذكر الله. يقول الإمام ابن عطية: «وكان رسول الله ﷺ يقرؤها كل ليلة عند أخذِ مضجعه[١]». فإن نسيت قراءتها قبل النوم فاقرأها متى ذكرتها.

(٢) اقرأها نظرًا من القرآن ابتداءً أو استمع إليها، ولا تتكلَّف حفظها، وستجد نفسك مع الأيام قد حفظتها.

(٣) إذا أردت حفظها، فجزِّئها إلى مقاطع ومجموعات، كما هو موضح في تفسيرها من هذا الكتاب.

(٤) استحضر تفسيرها وأنت تقرأها وتدبر آياتها، وحاول أن تعيش في رحابها ليرتقي إيمانك بخالقك يومًا بعد يوم.

---

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز، (٥/ ٣٨٧).

(٥) لا تتعجَّل في القراءة، ولا يكن همُّك آخر السورة، كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تنثروه نثر الدَّقل[١]، ولا تهذوه هذَّ الشِّعر، قِفوا عند عجائبه، وحرِّكوا به القلوب، ولا يكون همُّ أحدكم آخر السورة»[٢].

(٦) القراءة المتأنِّية المجوّدة مطلوبة جدًا، فالحرف الساقط من القراءة لا يحسب أجره كاملًا، لأن النبي ﷺ قال:

«من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها؛ لا أقول (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[٣]،

وقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [سورة المزمل:٤]، فالأجر على قدر المشقة، ولكل مجتهد نصيب.

(٧) في مرحلة متقدمة من المداومة عليها والالتزام بقراءتها، اجمع معها سورة السجدة -كما مرَّ معك فعل النبي ﷺ ومداومته عليها.

(٨) مراعاة آداب التلاوة وقت القراءة، وتذكَّر أنك تتكلم مع ملك الملوك فكيف تتأدب معه؟ ومن أهم هذه الآداب[٤]:

- الاستعاذة والبسملة قبل القراءة.

---

(١) الدَّقل: هو رديء التمر.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، رقم: (٨٧٣٣)، (٢/ ٢٥٦)، وينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (١/ ١٠٦).

(٣) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح غريب، (٥/ ٢٩١٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم: (١٤١٦)، (٢/ ٧٧).

(٤) تراجع بقية الآداب بأدلتها في التبيان في آداب حملة القرآن، للإمام النووي، (ص:٥٣).

- الطهارة والوضوء، واستقبال القبلة.
- السِّواك قبل القراءة أو تنظيف الفَم بغيره، لأنه سيخرج منه أشرف كلام.
- تحسين الصوت بالقراءة، وبزمار -أي: بنغم- جميل.
- الجهر بالقراءة أفضل من الإسرار بها، لأنه أوقع للنفس، ويعين على التأمُّل والتدبر.
- عدم قطع القراءة ساعة وساعة، وعدم تخللها بكلام الآدميين من غير ضرورة(١).
- القراءة في مكان نظيف، وهادئ، يُعين على الخشوع.
- سؤال الله تعالى من فضله عند المرور بآية رحمة، والاستعاذة بالله من العذاب عند المرور بآية وعيد.



---

(١) القرطبي، التذكار في أفضل الأذكار، (ص:١٦٤).

رابعًا: تفسير سورة الملك

عونًا للقارئ على الحفظ والتحصيل، وزيادة في الفَهم والاستيعاب، فقد قسَّمت السورة إلى تسع مجموعات، كل منها تمثل وحدة موضوعية متصلة بأختها، وذلك بشكل منهجي منظَّم على النحو الآتي:

تفسير الآية: (١)

موضوعها: افتتاح السورة بالقدرة المطلقة على ملك الله تعالى

قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾.

افتتح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ السورة بتقرير ثلاث حقائق:

الحقيقة الأولى: أن الملك الحقيقي الذي لا يزول هو ملك الله تعالى، فلفظ (الملك على الإطلاق هو الذي لا يبيد ولا يختل منه شيء، وذلك هو ملك الله تعالى)[١] وتقديم المسند (بيده) على المسند إليه (الملك) لإفادة أن الملك بيده لا بيد غيره، وفي هذا عناية واهتمام بأمر الملك الذي بيد الله وحده لا شريك له، وتعريف الملك بأل، يدل على شمول جميع أفراد الجنس فهي للاستغراق[٢]. وقد جاء تقرير هذا الملك وذكره

---

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز، (٥/ ٣٣٧).

(٢) عائشة فريد، من بلاغة سورة الملك، (ص: ٣٤).

في مواضع كثيرة في القرآن الكريم[1]، **منها:**

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران:٢٦].

وقوله تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة الزخرف:٨٥].

وقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة يس:٨٣].

والحقيقة الثانية: أن هذا المُلك ليس قهريًا أو مستبدًا، وإنما هو مُلك يلازمه البركة والخير الذي يفيض به على المملوكات والخلق. لذا بدأ سبحانه السورة بفعل ﴿تَبَٰرَكَ﴾، (وفعل تبارك يدل على المبالغة في وفرة الخير، وهو في مقام الثناء يقتضي العموم بالقرينة، أن يفيد أن كل وفرة من الكمال ثابتة لله تعالى بحيث لا يتخلف نوع منها عن أن يكون صفة له تعالى)[2].

والحقيقة الثالثة: بيان أهم خصائص هذا الملك؛ وهي القدرة المطلقة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، (أي: بليغ القدرة لا يعجزه شيء من الأشياء، يتصرف في ملكه كيف يريد من إنعام وانتقام ورفع ووضع وإعطاء ومنع)[3]. فالمُلك يستلزم القدرة، ومن لا قدرة له لا ملك له. ألا ترى محاجَّة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لمَلِك بابل

---

(١) يزيد عددها عن أربعين موضعًا، يراجع: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة: (م ل ك)، (ص:٦٧٤).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٩/ ٩).

(٣) الشوكاني، فتح القدير، (٥/ ٢٥٨).

(نمرود بن كنعان)[1]، وكيف أفحمه وأظهر عجزه في ملكه الزائل! وقد انتفت عنه القدرة. قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ ﴿٢٥٨﴾﴾، فلم يشكر نعمة ربه، بل كفر وتجبَّر، واعتقد أن بيده الأمر كله، والتصرف، والقدرة المطلقة. ﴿إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ فاعتقد الملِك بعقله القاصر أن قضية الإحياء والإماتة تتمثَّل في الحكم على إنسان سجين قد يَأمر بقتله، أو يفك أسره، فـ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾، فسأله إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بما لا يطيقه، ليدل على ملكه الحقيقي إن صدق ﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾، فوقف الملك عاجزًا مدحورًا، متصفًا بالنقص والقصور ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٥٨] فما أحوج البشرية اليوم أن تعلم هذه الحقيقة -حقيقة ملك الله- وتربط على هذا الاعتقاد، وترتقي بإيمانها بربها من التمجيد، والتعظيم، والتقديس له سبحانه دون سواه، فتُفرِده بالعبادة، والقدرة، والملك.

وفي افتتاح السورة ومطلعها ببيان ملك الله تعالى، وتصريف قدرته على كل شيء، براعة استهلال، وإجمال بعده تفصيل، وعموم بعده تخصيص، فكان في الآيات التاليات أمثلة على بعض هذا الملك الذي لا ينافسه فيه أحد من خلقه؛ من ملوك الإنس والجن، ولا يقدرون على الإتيان به، ابتداءً من خلق الموت والحياة، وخلق السموات السبع وإتقانهن، وجعل النجوم زينة ورجومًا للشياطين، وخلق

---

(١) يقول الإمام مجاهد: ملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود، وذو القرنين، والكافران: نمرود وبختنصَّر. يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١/ ٣٢٠).

الجنة والنار، وإحاطة علمه الدقيق، وتذليل الأرض للمعايش، وقلب خصائصها من نعمة إلى نقمة! وإبقاء الطيور سابحة في جو السماء، وإمداد البشر بأجهزة السمع والبصر والفؤاد، وعلمه للغيب، وآجال العباد...، وانتهاءً بإيجاد الماء الذي تبدأ به الحياة وبه تنعدم.



تفسير الآيات: (٢-٥)

موضوعها: قدرة الله تعالى في الأنفس والكون

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾.

بعد الاستهلال في مطلع السورة بتقرير ملك الله المطلق وقدرته المهيمنة على كل شيء؛ شرع سبحانه في ذكر بعض الأدلة على عظيم قدرته، وحكيم صنعه الذي هو فوق طاقات البشر وإمكاناتهم، إذ بيَّنت الآيات ثلاثة أدلة على قدرته تعالى في الأنفس والكون، على النحو الآتي:

الدليل الأول: في الأنفس. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ أي: أوجد الخلائق من العدم، وأنعم عليهم بالحياة بعدها، فعلام يكفرون به!! وقد ذكر الله هذا الموقف بصيغة الاستفهام الإنكاري في سورة البقرة، قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [سورة البقرة:٢٨]، فسمَّى الحال الأول -وهو العدم- موتًا، وسمَّى هذه النشأة حياة، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة البقرة:٢٨][١].

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٤٢٢).

(وبين الموت والحياة طباق، أثار الشعور بالمتضادين، فجعل الذهن يبحث عن المعاني والأفكار، وفي ذلك تداعٍ للمعاني حين تنتقل النفس من النقيض إلى النقيض، ومن الضد إلى الضد، فتتضح المعاني وتتمكن في النفس، لأنها تقرن بأضدادها، إذ الضد أقرب خطورًا بالبال عند ذكر ضده، والضد يبرز حسنه الضد)[1].

ثم بيّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الحكمة من خلق الموت والحياة، فقال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: للاختبار والامتحان والبلاء، وفيها إشارة إلى معنى جميل؛ وهو الإخلاص في الأعمال وحسن النية، قال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»[2]. فعمل بلا إخلاص وصفاء نية؛ رياء وسمعة. وفي الآية دعوة إلى التنافس على العبادة، والتسابق في الخيرات.

وتختم الآية باسمين من أسماء الله يناسب معنى الآية ودلالاتها: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ عزيز في انتقامه ممن عصاه، غفور لمن تاب إليه وأناب.

الدليل الثاني على القدرة الإلهية: في الكون. وهو خلق السموات السبع، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾. ينتقل الخطاب الإلهي بالإنسان من النظر في العالم الأرضي (الموت والحياة)، إلى عالم الكون الفسيح (السموات) أي من القريب المرئي بتفاصيله إلى البعيد الذي لا ترى نهايته وتفاصيله كما هو. وفي هذا حثٌّ على التدبُّر والتفكُّر في إبداع الصانع سبحانه في خلقه، وقد بيّن هنا سبحانه

---

(١) عائشة فريد، من بلاغة سورة الملك، (ص:٣٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ حديث رقم: (١)، (ص:١).

حقيقة علميَّة في خلق السموات لم يتوصل إليها علماء التِقنية المعاصرة، إذ انتهوا في علومهم إلى السماء الدنيا، أما هذه فهي سبع سموات طباقًا بعضها فوق بعض، كل طبقة لها خصائصها ومكوناتها كاملة، لا يعتريها نقص أو خلل ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾[1]. فصنع الله تام، لا اعوجاج فيه، ولا تناقض، ولا تباين، بخلاف مصنوعات البشر ومخترعاتهم، فالنقص والخلل والعيب يعتريها. لذا أمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بإعادة النظر والتدبر في خلق هذه السموات على اتساعها وامتدادها، بعد ما حصلت النظرة الأولى ﴿مَّا تَرَىٰ﴾ فقال: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾، وتأمَّل بدقة أكثر ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي بعض صفات العيوب من شقوق وصدوع وخروق؟.

الجواب: لا! إلاَّ أن هذا الجواب قد يكون على وجه السرعة وعدم التدقيق! فقال: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أعد النظر مرات ومرات، لا على سبيل التحديد بالعدد، عندها سترى أن النتيجة الحتمية ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ ذليلًا صاغرًا منقطعًا من الإعياء وكثرة التكرار بالنظر. فسبحان الله الذي أتقن صنع كل شيء.

وهذا التَّحدي -بإتقان الصنع- قائم إلى يوم القيامة، بكل ما توصل إليه الإنسان من الآلات الحديثة والمتطورة للنظر والفحص والاختبار، فلن يجد إلاّ المعجزة الإلهية، والإبداع الربَّاني في خلق السموات.

الدليل الثالث على القدرة الإلهية: في الكون. وهو ما أودع الله من حقائق في سماء واحدة من هذه السموات السبع، وهي السماء الدنيا، القريبة من سطح الأرض لعَين الإنسان، لتوجيه النظر للتفكر والاعتبار، حيث قال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا

---

(١) وقرأ ابن مسعود وأصحابه وحمزة والكسائي «تفوّتٍ» مشددًا بدون ألف، وفيه زيادة للمعنى. يُنظر: الشوكاني، فتح القدير، (٥/ ٣٢١).

ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾، أي بالكواكب المضيئة كالمصابيح.

فبيّن سبحانه بعد خلق السموات وخلوِّها من العيب والخلل؛ أنه زيّنها بهذه الزينة، فصارت في أحسن خلق، وأكمل صورة، وأبهج شكل[1].

ثم جعل الله تعالى من وظائف هذه المصابيح -ومنها الشهب- إضافة على أنها زينة للسماء، فإنها تتّبع الشياطين الذين يسترقون السمع منها بالرجم والرمي، فقال: ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾، وأكّد هذه الوظيفة في آيات أخرى متفرقة، ففي سورة الصافات قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ۝٨ دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ﴾ [سورة الصافات:٦-١٠] وقال في سورة الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا﴾ [سورة الجن:٨-٩]. أمَّا الوظيفة الثالثة للنجوم، فهي علامات يُهتدى بها على الطريق، ومعرفة الاتجاهات الجغرافية، قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [سورة النحل:١٦]. قال قتادة السدوسي: «إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها...»[2]، وهذا ما أعدَّه الله للشياطين من رجم في الدنيا، أما في الآخرة فأشد الحريق يُسعَّرون به، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾[3].



(١) الشوكاني، فتح القدير، (٥/ ٣٢٢).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٤٢٣).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٩/ ١١).

لطائف وعبر

(١) يقول الإمام القرطبي في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾: «قدّم الموت على الحياة، لأن أقوى الناس داعيًا إلى العمل من نصب موته بين عينيه».[1] وهذا حق؛ فمن شغلته الدنيا ومتاعها، واعتقد أنه سيعيش ألف سنة، وسعى لها، خاب وخسر؛ لأن الغفلة طبعت على قلبه، ونسي الآخرة؛ دار الحياة الحقيقية، فتأمّل.

(٢) قال تعالى: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: خيره وأفضله، (ولم يقل: أكثر عملًا)[2]. فالعبرة بالكيف لا بالكم!.

(٣) إن لمناسبة ذكر الشياطين في معرض الحديث عن دلائل القدرة الإلهية؛ **فائدتين:**

- إظهار قدرة الله، وشمول علمه بأمور الغيب، إذ كشف أمر الشياطين في استراقهم السمع، فرجمهم.

- وأنه لما كان الشياطين من أسباب غواية العباد، وإفسادهم، وصرفهم عن أحسن العمل وأخلصه، ذكرهم هنا، وهذا متعلق بقوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.



---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٩/ ٢٠٦).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٤٢٢).

تفسير الآيات: (٦-١١)

موضوعها: خلقُ النار وحال أهلها دليل على قدرة المالك سبحانه

قال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾.

ينتقل السياق القرآني من بيان بعض دلائل القدرة الإلهية في الدنيا من خلق الموت والحياة، وخلق السماوات السبع، وبيان لبعض وظائفها، إلى الحديث عن بعض دلائل قدرته سبحانه في الآخرة، حيث خَلَقَ النَّار وأعدَّها لمن كفر به، وكذّب برسله، وانحرف عن المنهج والفطرة السوية التي فُطِر عليها، وذلك في صورة رائعة ومشهد عجيب، يصف فيه إقرار الإنسان على نفسه واعترافه بكفره وغيّه، يوم لا ينفعه ذلك، فهو في دار الجزاء والعقاب. وكان قد أخذ فرصته في دار الامتحان؛ فقال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ ومعنى جهنَّم أي: بعيدة القعر[١] -أعاذنا الله منها- فلهم عذاب شديد في قعر النار. وهذا الجزاء بئس المآل والمنقلب[٢] ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ الذي يكون منتهاهم إليه يوم القيامة.

---

(١) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (ص:١٤٠٩).
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٤٢٣).

ثم تبدأ الآيات في تشخيص صورة حسيَّة من العذاب، إذ يؤخذ هؤلاء الكفرة، ويطرحون في جهنَّم كما يطرح الحطب في النار: ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا﴾، عندها تُصدر جهنَّم صوتًا مزعجًا قبيحًا كصوت الحمير، عند أوَّل نهيقها، وهو الشهيق: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾. وقيل: الشهيق من الكفار عند إلقائهم في النار. ثم تغلي هذه النار بهم كما يغلي المِرْجَل، أي: القِدر. قال مجاهد: «تفور بهم كما يفور الحب القليل في الماء الكثير»[(١)].

وهو قوله تعالى: ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ ومن شدة غيظها وغضبها على الكفار، يكاد ينفصل، ويتقطع بعضها من بعض ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾، وهذه الحال مع كل جماعة تلقى في النار.

ثم تبدأ حقيقة الاعتراف بتكذيبهم الرسل الذين أنذروهم بالعذاب في هذا اليوم الموعود، ويبدأ الحوار مع خزنة جهنَّم من الملائكة فيسألونهم سؤال توبيخ وتقريع، وهم الزبانية، وعددهم تسعة عشر ملكًا: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ فيجيبون: ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾ مِن الرسل فلم نعطِ لعقولنا صياغة تفكير ومهلة للتدبر لما يقولون وينذرون به ﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ وقلنا للرسل: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾.

وفي الآية إشارة إلى كمال عدله سبحانه في خلقه، وأنه لا يعذب أحدًا إلاّ بعد إرسال الرسل إليه وقيام الحجة عليه كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء:١٥] وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ

---

(١) رواه هناد بن السري في الزهد، رقم: (٣١٣) بإسناد صحيح، (١/ ١٩٤).

وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة الزمر:٧١][١].

ثم تُصوِّر الآيات حالة الندامة والملامة لأنفسهم يوم لا ينفع النَّدم، وقد صاروا من أصحاب النار، وقُضي الأمر: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾، أي: في عِداد أهل النار مع الشياطين. وذلك لأنهم ألغوا أكبر نعمة وهبها الله للإنسان، وميَّزه بها من غيره من المخلوقات، ألا وهي نعمة الإدراك والعقل، فآذانهم في الدنيا صمَّاء، وعقولهم ظلماء، لم يُوظِّفوها كما أمر الله في معرفة الحق وطريق الهداية إليه، فكانوا كالأنعام بل هم أضل، كما قال تعالى في وصفهم: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٧٩]، وكان جزاء اعترافهم بكفرهم أن أبعدهم الله من رحمته، وسحقهم في سعير النار: ﴿فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.



(١) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٤٢٣)، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (٩/ ٢١٢)، والشوكاني: فتح القدير، (٥/ ٣٢٣)، وأبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، (٤/ ٥٢١).

لطائف وعبر

في قوله تعالى ﴿لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ﴾ دلائل عدة:

- إن الإنسان قليل الشكر لله بنعمة هذه الحواس، وقد ذكر ذلك الله سبحانه في أواخر السورة: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [سورة الملك:٢٣] كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٧٨] وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [سورة السجدة:٩].

- إن كثيرًا من الخَلق يستعملون هذه الحواس في غير ما خُلقت له من الهداية إلى الله، ومعرفة حقه من العبادة.

- التحذير من مرض الغفلة التي قد يصاب به القلب، إذ يُفاجأ الغافل بالوعد الحق يوم القيامة، كما أخبر عنه القرآن الكريم: ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ [سورة ق:٢٢].



تفسير الأيات: (١٢-١٤)

موضوعها: من دلائل قدرة الله تعالى؛ علمه الدقيق بالخَلق.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾.

ويتابع السياق القرآني في بيان دليل آخر من دلائل قدرة الله تعالى على ملكه في هذه السورة، إذ توضِّح الآيات علم الله تعالى الدقيق بأمور خلقه في أمرين:

الأول: أنه يعلم من يخافه بالغيب بصدق وإخلاص. وتوضحه الآية رقم (١٢).

الأمر الثاني: أنه يعلم ظاهر أقوال عباده وباطنها، سرَّها وجهرها، وتوضحه الآية رقم (١٣).

لذا أعقب الآيتين بقوله: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾.

إن من أساليب القرآن الكريم وبلاغته في هداية البشر؛ استعمال أسلوب الطباق، وهو عرض صورتين متقابلتين بين أمرين متضادين، ليميِّز العقل بين ما ينفعه وما لا ينفعه؛ فوعدٌ بالجنان يقابله وعيدٌ بالنيران، وذكر أهل الجنة يقابله ذكر أهل النار، وترغيب يقابله ترهيب، والحسنات تقابلها السيئات، والعقوبة تقابلها المغفرة، وهلمَّ جرًّا... وذلك في معظم آيات القرآن ومقاطعه.

وفي هذه الآيات مَثَل لذلك؛ فبعد أن ذكر الله تعالى شأن أهل النار من الكافرين الجاحدين، أعقبهم بذكر صفة من صفات أهل الجنة من المؤمنين المتقين، وهي مراقبة أعمالهم وعبادتهم لربهم بالغيب، وكأنه معهم، وهذا هو مقام الإحسان. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾، فهم يؤمنون بالغيب ابتداءً، فيخافون عقابه الأخروي، وهم لا يرونه، ويصدقون بكل ما أخبر الله به في كتابه. وهذه الصفة أي صفة المراقبة لله في ظهر الغيب، وعبادته في السر تُعدُّ منْزلةً رفيعةَ الأجر، وهي ثقيلة على النفس أن تداوم عليها وتلتزم بها؛ لأن الشيطان يترقبها كي يصرفها عن مقام الطاعة والإحسان، فمن حَبَسَ نفسه، وأطاع ربه بالغيب، كان جزاؤه جزاءً موفورًا: ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَأَجۡرٌ كَبِيرٌ﴾. ونظير هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [سورة الرحمن:٤٦]، وقوله: ﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٍ مُّنِيبٍ﴾ [سورة ق:٣٣].

فأوَّل أعطيات الله هو حصول المغفرة العظيمة للذنوب، فإذا تطَّهر المؤمن من ذنوبه كان له العطاء الأكبر، وهو الفوز بالجنة، وهو معنى الأجر الكبير كما ذهب إليه المفسرون(١).

ثم يلفت الله تعالى نظر عباده إلى سعة علمه، ودقة إحاطته بما في النفس البشرية: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، وذلك لتعلم النفس أن الله مطلّع عليها، ويعلم خباياها، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [سورة ق:١٦]، فلا مجال للمراوغة والخداع، فخالق النَّفس أعلم بها منها: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ

---

(١) ينظر: تفسير الشوكاني، وابن كثير، وغيرهما في تفسير الآية.

﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾. أي: الذي لطف علمه بما في القلوب، الخبير بما تسّره وتضمره من الأمور[1]. فمن أسماء صفات الذات ما هو للعلم؛ ومنها (الخبير)، ويختص بأن يعلم ما يكون قبل أن يكون»[2].

وفي الآيات دليل آخر من سلسلة دلائل قدرة الله تعالى وملكه في هذه السورة، وهو سعة علمه وخبرته بالنفس البشرية.



---

(١) الشوكاني، فتح القدير، (٥/ ٣٢٥).

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٩/ ٢١٤).

لطائف وعبر

من لطائف قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾؛ قصّة (الرجل المِسكيِّ): واختصارها: أن فتى من (حي الصالحيَّة) في دمشق سوريا كان يبيع المراوح من القِش، فبينما هو يتجوَّل في شوارع الحي وأزقتها؛ إذ دعته فتاة من وراء باب أحد المنازل بحجة طلب الشراء، واستطاعت بحيلة ماكرة جذب الشاب داخل البيت، ثم أقفلت الباب، ودعته لفعل فاحشة الزنا وإلاَّ ستصرخ في الحيّ، بتهمة اغتصابها! فبُهت الفتى، وحاول أن يذكِّرها بالله، فأبت إلاَّ الفاحشة، وقد تملكها الشيطان، ولكن الإيمان الصادق لم يفارق الفتى، وقصة يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في مخيلته يوم صاح صيحة الحق: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة يوسف:٢٣]. وبينما هو كذلك إذ هيَّأت له المرأة كل وسائل الجريمة الأخلاقية، فالمنْزل خالٍ إلاّ منهما، وهي مقبِلة عليه بخيلها ورَجلها، في كامل الشوق والعشق والغرام! ولكن الله يحفظ عباده المتقين، فقد أُلهم الشاب بحيلة رائعة للخلاص من هذه الرذيلة؛ فتظاهر بالرضا التَّام، والموافقة على طلبها، بعد السماح له بتهيئة نفسه والذهاب إلى دورة المياه لقضاء الحاجة، وهناك لطَّخ جسده ببرازه، وخرج عليها برائحته الكريهة ومنظره القبيح، وما أن رأته على حالته هذه إلاَّ وصرخت: «مجنون... مجنون...!!» ثم طردته من البيت. وفي طريقه إلى منْزله كان كل من يراه يسخر منه ويزدريه، حتى إذا وصل إلى بيته اغتسل وتطَّهر، وإذ برائحة المسك تفوح

منه، وبقيت هذه الرائحة الطيبة تلازمه طوال حياته أينما حلَّ وارتحل، حتى اشتُهر بين الناس ولُقِّب بالمسكيَّ[(١)].

أقول: وهذه مكرَمة الصالحين في الدنيا فكيف الثواب في الآخرة! وصدق المصطفى ﷺ إذ يقول: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: وذكر منهم: ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله**»[(٢)].



(١) القصة واقعية، ومقبرة الرجل المسكي مشهورة في المنطقة. تراجع تفاصيل القصة في كتاب: قصص من التأريخ رقم:(٥)، محمد حسن الحمصى، (ص:٩-٣٢).

(٢) رواه البخاري، (رقم٦٦٠)، كتاب: الزكاة، باب: الصدقة باليمين، (ص:٣٢٠).

تفسير الأيات: (١٥-١٨)

موضوعها: تذليل الأرض وقلب خصائصها على المكذبين

دليل على القدرة الإلهية

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَإِذَا هِىَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾.

تتتابع الأدلة والبراهين على بيان قدرة الله تعالى في خلق الأرض، وذلك ضمن سياق الخطاب القرآني للكافرين الجاحدين للرسالة المحمدية، **فقد بيّنت الآيات دليلين خاصّين بالأرض:**

الدليل الأول: جعل الأرض ممهدة سهلة، تهيئةً للعباد في تيسير مهمة طلب الرِّزق فيها. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾، أي: (جعلها قارّة ساكنة، لا تميد ولا تضطرب، بما جعل فيها من الجبال، وأنبع فيها من العيون، وسلك فيها من السبل، وهيَّأ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾، أي: فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وتردَّدوا في أقاليمها، وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات)[١]. وهو

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٤٢٤).

معنى قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾. (شُبِّهَتِ الأرضُ في غاية تذليلها بالبعير المذلَّل)[1].

وفي الآية معنى جميل في حث النَّفس على طلب الرزق، والبحث عنه دون كلل أو تعب، في جميع أنحاء الأرض، شرقًا وغربًا، شمالًا وجنوبًا، فالنفس لا تعلم بأي أرض تستكمل رزقها، وتستقر عليه، وما عليها إلا الأخذ بالأسباب، وهو لا ينافي التوكل على الله فالرزق منه. كما قال ﷺ: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا**»[2].

يقول ابن كثير: «فأثبت لها رواحًا وغدوًا لطلب الرزق، مع توكلها على الله عَزَّوَجَلَّ، وهو المسخِّر والمسيِّر والمسبِّب»[3]. وقوله: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ أي: الرجوع والحشر إليه يوم القيامة. وهذه حقيقة، على الضمير الإنساني أن يحيا بها ويؤمن بالمعاد، فالذي خلق السماوات السبع على اتساعها، وذلَّل الأرض على امتدادها، قادر على بعث العباد من قبورهم، ونشرهم إليه يوم الحساب، سبحانه جلَّت قدرته.

الدليل الثاني على قدرة الله تعالى: قلب خصائص هذه الأرض على الكافرين من أهل مكة المكذبين بدعوة النبي ﷺ، فبعد أن ذكر الله تعالى عقابهم في الآخرة في الآيات الماضية -رقم: (٦-١١)- انتقل هنا للإشارة إلى ما سيحل بهم في الدنيا كما حلَّ بالأمم السابقة.

---

(١) ابن كمال باشا، تفسير سورة الملك، (ص:٥٣).

(٢) رواه الترمذي في سننه، وقال: حسن صحيح. باب: التوكل على الله، رقم: (٢٣٤٤)، (ص:٥٣٦).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٤٢٤).

لقد أهلك الله من كفر، وطغى، وكذَّب بالرسل من تلك الأمم بأصناف من العذاب، فكان منهم من خسف به الأرض؛ كما خسفها بقارون، ومنهم من أهلكه بالطوفان، كما أهلك قوم نوح وأغرق فرعون وقومه، ومن الأمم من أرسل لهم ريحًا تدمرهم، أو حجارة من السماء تهلكهم، كما أرسل ريحًا صرصرًا عاتية على قوم عاد، وصاعقة على قوم ثمود، وأهلك قوم لوط وأصحاب الفيل بحجارة من السماء.

وكل ذلك كان معلومًا عند كفار قريش وغيرهم، وكأنهم أَمِنوا على أنفسهم عذاب الله، لذا خاطبهم الله بأسلوب الاستفهام الإنكاري المصاحب بالتعجب من هذا الاطمئنان: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ أي: (فيغيبكم في مجاهِلِها بعد ما جعلها لكم ذلولًا تمشون في مناكبها: ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ تضطرب وتهتز بكم هزًّا شديدًا عنيفًا)[1].

ثم أردف سبحانه الخطاب بأسلوب الاستفهام نفسه: ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾، أي: ريحًا تحمل الحصباء والحجارة فتهلككم. فإن كنتم لا تأمَنون على أنفسكم ذلك، فعَلام الإصرار على الكفر وتكذيب الرسل؟! فإذا وقع عليكم العذاب: ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾، أي: كيف كان عاقبة إنذاري لكم بالعذاب على ألسنة رسلي، وهو استفهام للتهديد والتهويل.

ثم يلفت سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الأنظار إلى أحوال الأمم السالفة، التي كذَّبت رسلها في إشارة عابرة سريعة، فقال: ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: كيف كان إنكاري وتغييري عليهم؟ ألم يجدوا العذاب حقا؟.

---

(١) الصابوني، صفوة التفاسير، (٣/ ٣٥٩).

لطائف وعبر

(١) إن المتأمل في الآيات يرى أن الله تعالى، بعد ما ذكر الأرض وما فيها من خصائص ومكرمات للإنسان، من تمهيدها، وتذليلها، وتهيئتها لوسائل الرزق ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾، ذكر هنا حالتها الأخرى؛ إذ جعل فيها أسباب الهلاك والعذاب لمن كفر به وجحد، وعلا واستكبر، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قادر على تغيير حالتها، واختلاف طبيعتها، وقلب خصائصها من نعمة إلى نقمة، ومن رحمة إلى عذاب. وهذا من دلائل ملكه العظيم. فتأمَّل يرحمك الله! فإن في زماننا هذا قد كثرت أحداث الزلازل الأرضية، والأعاصير الجوية، وطوفان البحار في بلاد الكفر والإسلام معًا!!.

قال القرطبي: «وخصَّ السَّماء -أي: في قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ وقوله: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾- وإن عَّم ملكه لكل شيء، تنبيهًا على أن الإله الجدير بالعبادة، هو الذي تنفذ قدرته في السماء، لا من كان المشركون يعظمونه في الأرض[١]».

وقال ابن عاشور: «وقدم التهديد بالخسف على التهديد بالحاصب؛ لأن الخسف من أحوال الأرض، والكلام على أحوالها أقرب هنا، ولأن إرسال الحاصب عليهم جزاءٌ على كفرهم بنعمة الله التي منها رزقهم في الأرض المشار إليه بقوله:

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٩/ ٢١٥).

﴿وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ﴾؛ فإن منشأ الأرزاق الأرضية من غيوث السماء، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [سورة الذاريات:٢٢]»[١].



(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٩/ ٣٥).

تفسير الآيات: (١٩)

موضوعها: إمساك الطير في جو السماء من دلائل قدرة الله تعالى

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩)﴾.

الخطاب موصول لأهل الكفر، فلما أنذرهم بأنواع العذاب الدَّال على كمال قدرته؛ ضرب لهم مثلًا لزيادة بيانٍ على عظيم القدرة الإلهية، بكائن حي ومخلوق ألِفَ الناس رؤيته، مما صرفهم عن التفكر فيه والتدبر في خلقه. لذا قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ وهي دعوة للتأمل الدقيق لهذا المخلوق في أسلوب استفهام، (أي: أغفلوا ولم ينظروا ﴿إِلَى الطَّيْرِ﴾؟ لا في حالة سكونه على الأرض، وإنما في حالة طيرانه في السماء، فهو أبلغ في التأمل وطول النظر، وأدلّ على عظمة الخالق وقدرته الشاملة. و(الاعتبار بالطير ناسب المقام، وقد أهلك الله تعالى أصحاب الفيل بالطير والحاصب الذي رمتهم به... ففيه إذكار قريش بهده القصة)[١].

أما قوله: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ لتمييز حالته، وهو على الأرض، وإلا كان مثله مثل غيره من الدواب، لا يلفت نظر المتأمل.

وأما قوله: ﴿صَافَّاتٍ﴾ فحالة الطير؛ وهي باسطة أجنحتها، تمدُّها لتسبح في الهواء كالسباحة في الماء، وهو الأصل في الطيران.

---

(١) ابن كمال باشا، تفسير سورة الملك، (ص:٥٥).

وأما قوله: ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أي: يضممن أجنحتهن، وهذا القبض طارئ على البسط، لذا عبّرَ عن التحريك بالفعل)[1]. (ولم يقل: «وقابضات» ليدل على أن القدرة؛ على ما هو خلاف الطبع؛ إنما هو في البسط. أما القبض فيطرأ وقتًا بعد وقت لاحتياج البسط إليه في التحريك).[2] فالفعل يدل على الحدوث والتغيير، والاسم يدل على الثبوت، ولو قال: وقابضات لوقع الطير.

وهذه الطيور على اختلاف أنواعها وأحجامها وصفاتها ما بين طيور صغيرة وقليلة الطيران، أو كبيرة وبعيدة الطيران، في جو السماء الرّحب، مَن يمسكها ويحفظها من الوقوع على الأرض؟ إنه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، ما يمسكهن في حالة البسط أو القبض إلاّ الرحمن الذي أنكره المشركون و﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾؟[3] وهم يعيشون في رحمته التي وسعت كل شيء، وهي متجلية حتى في الطير تحفظه من السقوط والتحطيم، أينكرون ألوهية الله ورحمته، ألم يروا الطير؛ وهي صافات وقابضات أجنحتها، ولا يمسكها أحدٌ من الناس، فمن يمسكها إذًا؟ إنه الرحمن جلَّ جلاله وعظم سلطانه[4].

فلما كان الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا ملكه، وهذه قدرته وصف نفسه: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ﴾ أي: بالغ البصر والعلم بظواهر الأشياء وبواطنها، فمهما أراد كان، وهو يخلق العجائب ويوجد الغرائب[5].

---

(١) البقاعي، نظم الدرر، (٨/ ٧٨)، والشوكاني، فتح القدير، (٥/ ٣٢٦).

(٢) ابن كمال باشا، تفسير سورة الملك، (ص:٥٥).

(٣) وتمام الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان:٦٠].

(٤) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، (٤/ ٥٢٤).

(٥) البقاعي، نظم الدرر، (٨/ ٨٠).

لطائف وعبر

(١) في الآية لفت نظر إلى سعة رحمة الله تعالى بالحيوان، يقول الإمام القرطبي: «كما ذلَّل الأرض للآدمي ذلَّل الهواء للطيور»[١].

(٢) ذكر الله الطيور خاصَّة في هذا الموضع دون غيرها، وضرب بهم المثل؛ **لفوائد عدة:**

- لأن لها وجه مناسبة مع ما ذكر في الآيات السابقة من العقوبة بالحاصب من السماء. قال الإمام الآلوسي: «وناسب ذكر الاعتبار بالطير ذكر التوعد بالحاصب، لاسيما إذا فسِّر بالحجارة، إذ قد أهلك الله تعالى بذلك أصحاب الفيل حينما رمتهم به الطير، ففي ذلك إذكار قريش بتلك القصة»[٢].

- إن هذه الطيور مما يعتاده الإنسان في حياته، ويألف النظر إليه، دون تأمُّل أو تدبر، فكان لذكرها عبرة ولفت نظر. يقول ابن عاشور: «وكم غفل الناس عن دقائق في المخلوقات من الإنسان والحيوان والجماد، ما لو تتبعوه لتجلى لهم منها ما يملأ وصفه الصُحف، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الغاشية:١٧-٢٠]،

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٩/ ٢١٥).

(٢) الآلوسي، روح المعاني، (١٥/ ١٩).

وقال: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [سورة الذاريات:٢١][1].

▪في دعوة الله الإنسان للتأمل في الطيور وهي في حالة الطيران تجوب أجواء السماء؛ إشارة حكيمة تخاطب الإنسان بأن يرفع رأسه ويتأمل ويحلّق بنظره في ملكوت الله الأعلى، ويسبح بفكره في الأفق الواسع وعالم السماء الرحب، وكأن الله تعالى يريد أن ينقل هذا الإنسان من الجاذبية الأرضية التي أعتادها وتعلق قلبه بأسبابها في حياته، إلى الجاذبية العلوية حيث الرحمة الإلهية وخالق الوجود الذي أبدع الصنع، وأتقن الخلق، وإليه سبحانه تصمد الخلائق.

لذا لم يضرب الله مثلًا بالطيور وهي ساكنة على الأرض، وإنما في حالة طيرانها وهي تسبح وتسير وتحلّق من مكان إلى مكان، وبسباحتها يسبح الناظر إليها بخياله وفكره وينتقل معها حيثما انتقلت ويخفض ويرفع بصره كيفما ارتفعت وانخفضت، فسبحان ربي العظيم ما أجمل صنعه.

(٣) من معين الحقائق العلميَّة في الآية:

القرآن الكريم مليء بالحقائق العلمية في الآفاق وفي الأنفس، ومليء كذلك بالإشارات العلمية إلى هذه الحقائق، عرفها من عرفها، وجهلها من جهلها! وفي قوله تعالى ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ١٩﴾ إشارة واضحة إلى اختراع تِقني من أبدع ما توصل إليه الإنسان في العصر الحديث، ألاّ وهو: (علم الطيران)؛ الذي انتهى الإنسان فيه، إلى اختراع الطائرة، والذي اشتق اسمها من اسم الطير، وحالة طيرانه في الجو: ﴿صَٰٓفَّٰتٖ﴾. فهذه الإشارة

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٩/ ٣٥).

العلمية هي ما جعلت المخترع الأندلسي (عبّاس بن فرناس) عام (٢٦٧هـ-٨٨٠م)، يقوم بأوَّل تجرِبة بشرية على نفسه، بهدف السباحة في الجو[١]. ثم تطور العقل البشري بعد ذلك[٢] إلى أن وصل إلى ما وصل إليه اليوم من صناعة الطائرات على اختلاف أنواعها، وأحجامها، فسبحان الملك العلاّم.



(١) وذلك بأن اخترع آلة بسيطة يطير بها، كما مدَّ له جناحين طار بهما في الجو مسافة بعيدة، ثم سقط فتأذى في ظهره. وهو عالم ومهندس وفيلسوف. توفي عام (٢٧٤هـ-٨٨٧م). يُنظر: الموسوعة العربية العالمية، (١٦/ ٧٢).

(٢) تذكر الموسوعات العلمية، إن أول محاولة ناجحة للطيران البدائي كانت في الولايات المتحدة، قام بها الأخوان «رايت» عام ١٩٠٣م. يُنظر: موسوعة كنوز المعرفة، م.كمال شربل؛ موريس شربل، (٥/ ٤٦). وموسوعة عالم المعرفة، (٦/ ٤٩٥).

تفسير الآيات: (٢٠-٢٤)

موضوعها: قدرة الله تعالى في إظهار النِّعم على عباده

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

تتعلَّق الآيات بما قبلها في معرض الحديث عن بيان قدرة الله تعالى، **وذلك في أربع نعم على عباده:**

أولها: أن الناصر الحقيقي هو الله. قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

ثانيها: أن الرِّزق بيده سبحانه. قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾.

ثالثها: خلق الله البشر وأمدهم بالسمع، والبصر، والعقل. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾.

رابع النعم: قدرته سبحانه على جمع الخلائق بعد بثهم، وتفرقهم في الأرض. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

إنها سلسلة من خطابات الاستفهام الإنكاري يوجهها الله تعالى لكفار قريش، ومن على شاكلتهم ممن تعلَّق قلبه بغير الله بالعبادة والولاء، واعتقد أنه ينفعه ويضره، وبيده الرزق والمنع. يقول الإمام الرَّازي: «اعلم أن الكافرين يمتنعون عن الإيمان، ولا يلتفتون إلى دعوة الرسول ﷺ، **وكان تعويلهم على شيئين:**

الأول: القوة التي كانت حاصلة لهم بسبب مالِهم، وجندهم.

والثاني: أنهم كانوا يقولون: هذه الأوثان توصل إلينا جميع الخيرات، وتدفع عنَّا كل الآفات. وقد أبطل الله عليهم كل واحد من هذين الوجهين»[1].

أما الأول: فبقوله: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أي: لا جند لكم، ولا ناصر يدفع عليكم عذاب الله سوى الرحمن. ولكن الحقيقة الثابتة التي أقرَّها القرآن الكريم؛ أن من طبع الكفّار؛ الغرور والأماني الكاذبة من الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾، أي: واقعون في غواية الشيطان وخداعه لهم بأنه لا حساب ولا عذاب.

وأما الثاني: فقوله تعالى: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥ﴾، والمعنى: من الذي يرزقكم من آلهتكم إن أمسك الله الرزق عنكم؟ بمنع أسبابه؛ كالمطر والنبات! عندئذٍ لن تجدوا رازقًا سواه، وهنا يقرِّر الله حقيقة ثابتة فيهم، وهي التكبر والإعراض عن الحق، فقال: ﴿بَل لَّجُّواْ﴾، أي: أصَّروا وتشدَّدوا مع وضوح الحق: ﴿فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾، في عتو، أي: في تمرد وتكبر، وفي نفور، أي: تباعد عن الحق وإعراض عنه»[2].

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، (١٥/ ٦٣).

(٢) المرجع السابق نفسه، (بتصرف).

ثم ضرب الله لهم مثلًا حسِّيًا لشخصين؛ أحدهما يمشي على وجهه بدل رجليه، والآخر يمشي قائمًا كالمعتاد، فلعل هذا التشبيه البليغ يفيدهم في التفريق بين الحق والباطل، وينكر عليهم قياسهم الفاسد. قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، يقول الإمام ابن كثير: «وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مُكبًّا على وجهه، أي: يمشي منحنيًا، لا مستويًا على وجهه، أي: لا يدري أين يسلك، ولا كيف يذهب؟ بل تائه حائر ضال، أهذا أهدى ﴿أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا﴾ أي: منتصب القامة ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: على طريق واضح بيِّن، وهو في نفسه مستقيم، وطريقة مستقيمة. هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة. فالمؤمن يُحشر يمشي سويًا على صراط مستقيم، مُفضٍ به إلى الجنة الفيحاء. وأما الكافر فإنه يُحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم، ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [سورة الصافات:٢٢-٢٦]. عن أنس ابن مالك قال: قيل: يا رسول الله، كيف يحشر الناس على وجوههم؟ فقال: «أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادرًا على أن يمشيهم على وجوههم»[(١)]؟.

ثم يُعدِّد الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ سلسلة من النعم العظيمة على الإنسان، التي أودعها فيه، ناهيك عن غيرها مما لا يحصى، وهذه النعم لا يقدر على الإتيان بها أرباب المشركين، التي عبدوها وتعلقوا بها من دون الله. فقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾ أي: ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾

---

(١) رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان:٣٤]، رقم: (٤٧٦٠)، (ص:٨٣٤). ويُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٤٢٥).

أي: أودع فيكم حاسة السمع والأبصار والعقول المدركة[1].

يقول الإمام الرازي: «واعلم أن في ذكرها ههنا تنبيهًا على دقيقة لطيفة، كأنه تعالى قال: أعطيتكم هذه الإعطاءات الثلاثة مع ما فيها من القوى الشريفة، لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه، ولا اعتبرتم بما أبصرتموه، وتأملتم في عاقبة ما عقلتموه، فكأنكم ضيعتم هذه النعم، وأفسدتم هذه المواهب، فلهذا قال: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، وذلك لأن شكر الله تعالى، هو أن يصرف تلك النعمة إلى وجه رضاه، وأنتم لما صرفتم السمع، والبصر، والعقل، لا إلى طلب مرضاته، فأنتم ما شكرتم نعمته البتة»[2]. والآية تفيد ما سبق ذكره في شأن أهل النار حين عاتبوا أنفسهم: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

وتتَّصل سلسلة النعم على الإنسان بعد نشأته، وما أودع فيه من حواس وآلات، وخلقه في أحسن تقويم، إذ بثه ونشره في أرجاء الأرض وأطرافها ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مع اختلاف ألسنتكم في لغاتكم، وألوانكم، وأشكالكم وصوركم، فإذا جاء أمر الله عندها تعلمون. وقوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: يجمعكم كما فرقكم، ويعيدكم كما بدأكم[3]. فأي قدرة هذه في خلق أصناف البشر إن لم تكن قدرة الله؟ وأي مُلك هذا في جمع الأولين والآخرين منذ أن خُلق البشر إن لم يكن ملكه تعالى؟



(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٤٢٥).
(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، (١٥/ ٦٥).
(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٤٢٦).

لطائف وعبر

(١) التعبير بقوله: ﴿مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ إشارة إلى أن بقاء الناس في الأرض مع كفرهم وظلمهم هو برحمة الله الذي وسعت رحمته كل شيء[(١)].

(٢) خُصَّت هذه الجوارح بالذِكر في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣﴾ لأنها أداة العلم والفهم[(٢)].

وقد جاء ذكر هذه الحواس في القرآن الكريم في ستة مواضع [سورة يونس:٣١، سورة النحل:٧٨، سورة الإسراء:٣٦، سورة المؤمنون:٧٨، سورة السجدة:٩، سورة الملك:٢٣] وذلك لأهميتها، فهي مناط التكليف. وأخبر سبحانه أن الإنسان مسؤول عنها يوم القيامة: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [سورة الإسراء:٣٦]. فكم شرّقت الآذان وغرّبت بسماع المعاصي! وكم طافت العيون بالنظر إلى المحرمات! وكم تعلقت القلوب والعقول بغير الله !! فهل من معتبر!.

(٣) في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ أنكر تعالى على الكفّار قياسهم الفاسد في معرفة الأشخاص وقَبولهم في المجتمع، ومثله قوله تعالى: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [سورة القلم:٣٥-٣٦].

---

(١) د. وهبه الزحيلي، التفسير المنير، (٢٩/ ٣٢).

(٢) المرجع السابق، (٢٩/ ٣٤).

وكثير من الناس في زماننا هذا -إلاّ من رحم ربي- طاشت عندهم الموازين، واختلطت فيهم معايير القيم والمبادئ، فأصبح صاحب الشهرة والأضواء هو المقدَّم، وصاحب المال والجاه هو الشريف، وصاحب الجنس واللون هو الرفيع، فسبحان ربي الأعلى! أين نحن من قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾؟ [سورة الحجرات:١٣].



تفسير الأيات: (٢٥-٢٩)

موضوعها: من دلائل قدرة الله تعالى؛ علمه بالغيب.

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

الآيات متصلة بما قبلها في مخاطبة كفار قريش وعرض الأدلة الإلهية على قدرته لإقامة الحجة عليهم، **إذ تشير الآيات إلى علم الله تعالى بالغيب في أمرين:**

الأول: علم الساعة ووقتها، وتبيّنه الآيات رقم: (٢٥- ٢٧).

الثاني: أن الله تعالى بيده آجال العباد، وتبيّنه الآيات رقم: (٢٨، ٢٩).

لقد وجه الكفار سؤالهم للنبي ﷺ ومن معه من المؤمنين بصيغة الاستهزاء، وقد حكا الله ذلك عنهم فقال: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: متى تقوم السَّاعة؟ عندها أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يجيبهم فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: وقت قيام الساعة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾[1].

---

(١) وتمام الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٨٧].

وقوله: ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: مهمتي أن أنذركم وأخوفكم عاقبة كفركم، وأبيِّن لكم ما أمرني الله ببيانه[1].

ثم جاءت الآية التالية تخبر عن حالهم وقت قرب العذاب، ورؤيتهم لحقيقته: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾. قال القرطبي: «وأكثر المفسرين على أن المعنى: فلما رأوه يعني: عذاب الآخرة ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، أي: ساءهم ذلك العذاب، وظهر على وجوههم سمة تدل على كفرهم، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [سورة آل عمران:١٠٦]. فيرد الله عليهم على وجه التقريع والتوبيخ: ﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾، أي: من الدعاء كما عند أكثر القرَّاء بالتخفيف: تَدْعُون. قال قتادة: هو قولهم: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا﴾ [سورة ص:١٦]. وقال الضحَّاك هو قولهم: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الأنفال:٣٢][2].

لقد واجهت دعوة النبي ﷺ في مكة أنواعًا من العقبات والصدود، واستعمل المشركون عليها أساليب متنوعة من تعذيب، وتهديد، وسخرية، وتشويه إعلامي، وإثارة شبهات حول الوحي، حتى انتهى بهم المطاف -بعد عجزهم عن إيقاف هذه الدعوة والقضاء على صاحبها وأصحابه- أن تمنّوا هلاك النبي ﷺ وكل من معه. عندها أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالرد عليهم ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ لهم: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ﴾ أي: أماتني، كما قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [سورة الطور:٣٠]، ﴿وَمَن مَّعِىَ﴾ من المؤمنين، ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ بتأخير آجالنا، فأي شيء يفيدكم

---

(١) الشوكاني، فتح القدير، (٥/ ٣٢٨)، (بتصرف).

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٩/ ١٢٠).

بهذا؟ وانظروا إلى أنفسكم ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ هل ما تعبدونه من دون الله سيرفع عنكم العذاب الواقع بكم؟

الجواب: لا! إذًا يا محمد ﷺ ﴿قُلۡ﴾ لهم: من بيده الملك كله؟ ﴿هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ الذي أنكرتموه وقلتم: وما الرحمن؟، أما نحن فـ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ تمام الإيمان، ﴿وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَا﴾ في جميع أمورنا، لم نتخذ معه شريكًا، أمَّا أنتم إن لم تؤمنوا اليوم وتعرفوا حقه وواجبه ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ﴾ لمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة ﴿مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ أي: منَّا أو منكم![1].



(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٩/ ٢٢١)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٤٢٦).

لطائف وعبر

في الآيات وجه مناسبة مع أوّل السورة (ففي قوله سبحانه في أوائل السورة: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ أشار إلى من يحسن عمله بقوله: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وأشار إلى من يسيء بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾، فإن المغفرة إنما تكون للذنوب. وفيه إشارة إلى اليوم الآخر، فإن مغفرة الذنوب إنما تنفع في الآخرة. وذكر في آخر السورة من أساء في عمله ومن أحسن. فقال فيمن أساء: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾، وقال فيمن أحسن: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾)[1].

فتأمّل!.



---

(١) السامرائي، التناسب بين السور، (ص:٧٤).

تفسير الآية الأخيرة: (٣٠)

موضوعها: اختُتِمت السورة ببيان قدرة الله كما افتُتِحت

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ۝٣٠﴾.

الآيات متصلة مع ما قبلها في الحديث عن مشركي مكة، فلمَّا ذكر الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وجوب التوكل عليه لا على غيره، وذكر الدليل عليه، قال آمرا النبي ﷺ أن يقول لهم: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾، «**والمقصود**: أن يجعلهم مقرِّين ببعض نعمه ليريهم قُبح ما هم عليه من الكفر، أي: أخبروني إن صار ماؤكم ذاهبًا في الأرض فمن يأتيكم بماء معين؟ -أي: عذب- تراه العيون جاريًا على سطح الأرض»[١].

وهكذا تُختتم السورة ببيان دليل من أعظم أدلة القدرة الإلهية، وهو إيجاد الماء الذي هو عَصَب الحياة، وحصوله ميسَّرًا للإنسان، من دون كَلٍّ أو تعب، فلو أمر الله تعالى الأرض أن تجفّ! هل سينتفع على وجهها أحد؟!

لقد بدأت السورة بعرض أوَّل أدلة القدرة الإلهية ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾، وخُتمت بأهم مقومات الحياة، وهو الماء. قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾. يقول الإمام

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، (٢٩/ ٦٧).

البقاعي: «ولمَّا افتتح سبحانه السورة بعظيم بركته وتمام قدرته وتفرده في مملكته، ودلَّ على ذلك بتفرده بالإماتة والإحياء، ختم بمثل ذلك بالماء، الذي وجوده هو سبب للحياة، وعدمه سبب للموت»[1].



(١) البقاعي، نظم الدرر، (٨/ ٨٨).

لطائف وعبر

قصَّة عجيبة: ذكر الإمام الزمخشري في تفسيره أن بعض الشطّار (أي المستهزئين) تُليت عنده هذه الآية : ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ فقال: تجيء به الفؤوس والمعاول، فذهب ماء عينيه أي: عَمِيَ؛ نعوذ بالله من الجرأة على الله وعلى آياته[١].



(١) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنْزيل، (٤/ ١٢٥).

في ظلال ختام سورة الملك

وهكذا تنتهي السورة، وقد بثَّت في النفوس، وحرَّكت في القلوب؛ حقيقة الإيمان الصادق واليقين الكامل بالوحدانية، وبدلائل القدرة الإلهية العليا، وحقيقة مفهوم المُلك والمالك لكل شيء، ابتداءً بخلق الموت والحياة، وانتهاءً بأسباب ذلك الموت أو تلكم الحياة، في رحلة إيمانية يعيش فيها المسلم مع ربه، ويتصل بكلماته المباركة -القرآن- وحاله يقول بعد ما أَقَرَّ وآمن بدلائل عظيم قدرة الله تعالى في خلقه، وإجابة لسؤال الله تعالى في نهاية السورة ﴿فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ﴾؟ يقول: هو الله جَلَّجَلَالُهُ.

وعليه؛ فمن يجول في هذه الرحلة الربانيَّة مع (سورة الملك) بحسِّهِ وإدراكه، وبقلبه وفكره كل ليلة قبل أن ينام، أَلَا تَشْفع له السورة عند ربه؟! ومن يختم يومه وقد تعلَّق قلبه بخالقه، واتصل ضميره بموجده، وأوكل حياته ومماته إلى ربه، أَوَ مُعذبه الله في قبره؟! سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فهو أكرم الأكرمين، وصدق رسول الله ﷺ: **«إن سورة في القرآن ثلاثين آية، شفعت لصاحبها حتى غفر له: تبارك الذي بيده الملك»**(١).



(١) سبق تخريجه في المقدمة.

المصادر والمراجع

(١) **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٦هـ).

(٢) **أسباب النزول**، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، (بيروت: عالم الكتب).

(٣) **أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور**، ابن رجب الحنبلي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٦، ١٩٩٩م).

(٤) **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، أبو بكر الجزائري، (دون ناشر، ط٢، ١٩٨٧م).

(٥) **البحر المحيط**، محمد بن يوسف أبو حيان، تحقيق: عادل أحمد عبد الجواد وجماعة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٣م).

(٦) **البداية والنهاية**، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير، حققه جماعة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ١٩٨٧م).

(٧) **البرهان في تناسب سور القرآن**، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، تحقيق: د. سعيد بن جمعة الفلاَّح، (الدمام: دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٣١هـ).

(٨) **التبيان في آداب حملة القرآن**، يحيى بن شرف الدين النووي، تحقيق: عبد العزيز السروان، (بيروت: دار النفائس، ط١، ١٩٨٤).

(٩) **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور، (تونس: الدار التونسية للنشر، ط١، ١٣٨٤هـ).

(١٠) **التذكار في أفضل الأذكار**، أبو عبد الله بن فرج القرطبي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، (الرياض: رئاسة إدارات البحوث، ط٢، ١٩٧٩م).

(١١) **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير، (الرياض: دار عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٤م).

(١٢) **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، د. وهبه الزحيلي، (بيروت ودمشق: دار الفكر المعاصر؛ ودار الفكر، ط١، ١٩٩١م).

(١٣) **تفسير سورة الملك**، أحمد بن سليمان بن كمال باشا، تحقيق: د. حسن ضياء الدين عتر، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٩٨٦م).

(١٤) **التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم**، د. فاضل صالح السامرائي، (الدمام: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣٢هـ).

(١٥) **جامع الترمذي**، أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، (الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٩م).

(١٦) **الجامع لأحكام القرآن**، أبي عبد الله القرطبي، (بدون ناشر).

(١٧) **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم الأصفهاني، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤٠٥هـ).

(١٨) **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، جلال الدين السيوطي، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٣م).

(١٩) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، أبو الثناء شهاب الدين محمود الآلوسي، (بيروت: دار الكتب العلمية،ط١، ١٩٩٦م).

(٢٠) **زاد المسير في علم التفسير**، أبو الفرج جمال الدين ابن الجوزي، (بيروت: دار الفكر، ط١، ١٩٨٧م).

(٢١) **الزهد**، هناد بن السري، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، (الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ط١، ١٤٠٦هـ).

(٢٢) **السلسلة الصحيحة**، محمد ناصر الدين الألباني، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٩٥م).

(٢٣) **سنن ابن ماجة**، أبي عبد الله محمد بن يزيد، (الرياض: دار السلام، ط١، ١٩٩٩م).

(٢٤) **شعب الإيمان**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ).

(٢٥) **صحيح ابن ماجة**، محمد ناصر الدين الألباني، (الرياض: مكتبة المعارف، ط١، ١٩٩٧م).

(٢٦) **صحيح البخاري**، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (الرياض: دار السلام،ط٢، ١٩٩٩م).

(٢٧) **صحيح الترغيب والترهيب**، محمد ناصر الدين الألباني (الرياض: مكتبة المعارف، ط٥).

(٢٨) **صحيح وضعيف الجامع الصغير**، محمد ناصر الدين الألباني، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٨م).

(٢٩) **صفوة التفاسير**، محمد علي الصابوني، (بيروت: المكتبة العصرية، د. ط، ٢٠٠٦م).

(٣٠) **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد ابن علي الشوكاني، (بيروت: دار المعارف).

(٣١) **فيض القدير**، للمناوي، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦هـ).

(٣٢) **القاموس المحيط**، الفيروزآبادي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٧م).

(٣٣) **قصص من التأريخ**:(٥)، محمد حسن الحمصي، (دمشق: دار الرشيد، ١٩٧٧م).

(٣٤) **الكشاف عن حقائق التنْزيل**، جار الله الزمخشري، (بيروت: دار المعرفة).

(٣٥) **لباب التأويل في معاني التنـزيل**، أبو الحسن علي بن محمد الخازن، (القاهرة: مطبعة الاستقامة، ط١، ١٣٧٤هـ).

(٣٦) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠١م).

(٣٨) **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية،، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)

(٣٨) **المصنف**، ابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، (الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٩هـ).

(٣٩) **معالم التنزيل**، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٩هـ).

(٤٠) **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار الفكر،١٩٨٧م).

(٤١) **مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرازي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م).

(٤٢) **المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام**، د. جواد علي، (دار الساقي، ط٤، ٢٠٠١م).

(٤٣) **من بلاغة سورة الملك**، د. عائشة حسين فريد، (الزهراء كمبيوسنتر بمصر، د.ط، د.ت).

(٤٤) **المنتخب من مسند عبد بن حميد**، عبد بن حميد، تحقيق: صبحي البدري السامرائي ومحمود محمد خليل الصعيدي، (القاهرة: مكتبة السنة، ط١، ١٩٨٨م).

(٤٥) **الموسوعة العربية العالمية**، (الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة، ط١، ١٩٩٦م).

(٤٦) **موسوعة عالم المعرفة**، (بيروت: دار نوبلس، ط١، ٢٠٠٢م).

(٤٧) **موسوعة كنوز المعرفة**، م.كمال شربل؛ موريس شربل، (لبنان: دار نظير عبود، ط٣، ٢٠٠١م).

(٤٨) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، برهان الدين البقاعي، تخريج: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتب العلمية: ط١، ١٩٩٥م).



فهرس الموضوعات



وقف تعظيم الوحيين في المدينة المنورة

مؤسسة وقفية علمية تقوم على خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وما يتعلق بهما في بلد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهذا الوطن المبارك المملكة العربية السعودية.

ويُعنى الوقف بمشاريع وبرامج نوعية متنوعة، تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتسعى لترسيخ معاني الوسطية والاعتدال عند الفرد والمجتمع، وأهمها:

- مسابقة حفظ القرآن الكريم وتلاوته وتفسيره لموظفي وموظفات الإدارات الحكومية بمنطقة المدينة المنورة.
- مشروع هدي القرآن الكريم والسنة النبوية في حماية أمن الوطن .
- مشروع الحقائب القرآنية كان خُلُقه القرآن ﷺ .
- مشروع درب الوحيين الشبابي (رفد المدينة ، ثنايا) .
- مشروع اكتساب التدريبي .
- المقرأة الالكترونية العالمية بالقراءات العشر .
- دورات علمية .
- مجلة تعظيم الوحيين العلمية المحكمة .
- استديو الوقف لتسجيل المصاحف المرتلة بمختلف الروايات، وأحاديث الرسول الكريم ﷺ .

ويشرف على مشاريع الوقف وبرامجه مجلس علمي وهيئات متخصصة:

- هيئة القراءات وعلومها .
- هيئة التفسير وعلوم القرآن .
- هيئة السنة النبوية وعلومها .

وقد قام الوقف بإجراء عدد من الشراكات الهامة مع الجهات المعنية: الحكومية والأهلية والخيرية، تحقيقاً للتعاون والأهداف المشتركة.

عناوين التواصل

المملكة العربية السعودية – المدينة المنورة – حي الروابي



٥١٩٩٣ الرمز البريدي ٤١٥٥٣ | ٠٥٥٠٢٧٩٧٧٧

www.t-alwahyain.org | ٠٥٥٢٥٠٩٥٠٩

w.t.alwahyain@gmail.com | ٠١٤ ٨٤٩٠٢٦٩

ISBN 978-603-02-7848-0



9 786030 278480